مراعاة النظير في أحاديث رياض الصالحين للنووي

أ.م.د.مازن موفق صديق الخيرو
جامعة الموصل / كلية التربية للبنات

الملخص

يهدف هذا البحث إلى بناء فكر بلاغي جديد يمزج ما بين الإجراء البلاغي القديم وبين معطيات الدرس البلاغي الحديث المتمثل بالدرس الأسلوبي ؛ فجاءت خطة البحث معتمدة على مقدمة وتمهيد ومبحثين تضمن التمهيد (تعريف مراعاة النظير لغة واشكالية المفهوم اصطلاحا) المبحث الأول (بلاغة مراعاة النظير (التناسب المعنوي)) ، أما بالنسبة للمبحث الثاني فقد عنوناه بـ (بلاغة مراعاة النظير (التناسب اللفظي)) ثم انتهى البحث بخاتمة فيها عرض لأهم النتائج وقائمة بالمصادر والمراجع وختاماً نسأل الله تعالى أن يتقبل منا هذا العمل وان يجعله خالصاً لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا ومولانا محمد الأمين وعلى آله وأصحابه الغرّ الميامين .

أما بعد :

فان الناظر للحديث النبوي الشريف يجد أساليب بلاغية كثيرة فيه ، فقائله نبي ورسول أوحي إليه من الله _ سبحانه وتعالى _ وقد آوتي جوامع الكلم ، ومن الأساليب المؤثرة والعظيمة في حديثه (صلى الله عليه وسلم) _ أسلوب مراعاة النظير ؛ إذ يتحقق هذا الأسلوب من خلال الانسجام بين اللفظ بوصفه يمثل شكل الخطاب وبين المعنى بوصفه يمثل مضمون الخطاب ، فقد تبنى البحث فكراً بلاغيا جديدا يمزج ما بين الإجراء البلاغي القديم وبين معطيات الدرس البلاغي الحديث المتمثل بالدرس الأسلوبي ؛ فجاءت خطة البحث معتمدة على مقدمة وتمهيد ومبحثين تضمن التمهيد (تعريف مراعاة النظير لغة واشكالية المفهوم اصطلاحا) المبحث الأول (بلاغة مراعاة النظير (التناسب المعنوي)) ، أما بالنسبة للمبحث الثاني فقد عنوناه بـ (بلاغة مراعاة النظير (التناسب اللفظي)) ثم انتهى البحث بخاتمة فيها عرض لأهم النتائج وقائمة بالمصادر والمراجع وختاماً نسأل الله تعالى أن يتقبل منا هذا العمل وان يجعله خالصاً لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير.

التمهيد: مفهوم مراعاة النظير

أولا: مراعاة النظير في المفهوم اللغوي:

إن الفعل (نظر) مأخوذ من: نَظَرَ يَنْظُر نَظَراً قال: ويجوز تخفيف المصدر تحمله على لفظ العامة من المصادر وتقول نَظَرت إلى كذا وكذا مِنْ نَظَر العين ونَظَر القلب النَّظَر حِسُّ العين نَظَره يَنْظُره نَظَراً ومَنْظَراً ومَنْظَرة ونَظَر إليه والمَنْظَر مصدر نَظَر ... تقول ويقول القائل للمؤمَّل يرجوه إنما نَنْظُر إلى الله ثم إليك أي إنما أَتَوَقَّع فضل الله ثم فَضْلك

النَّظَر تأَمُّل الشيء بالعين وكذلك النَّظَرانُ بالتحريك وقد نَظَرت إلى الشيء والنَّظِيرُ المِثْلُ وقيل المثل في كل شيء وفلان نَظِيرُك أَي مِثْلُك لأَنه إذا نَظَر إليهما النَّاظِرُ رآهما سواءً ونَظِيرُ الشيء مِثْلُه١.

نجد من خلال هذا العرض اللغوي للفظ (مراعاة النظير) أنه يدل على عدة معاني ، منها نظر العين وكذلك على الرجاء والتوقع ، ولكن أهم المعاني التي تقترن من المعنى الاصطلاحي هو معنى (المثل)، فنظير الشيء مثله .

ثانيا :إشكالية مراعاة النظير في المفهوم الاصطلاحي:

يندرج مصطلح (مراعاة النظير) في المدونة البلاغية تحت علم البديع ضمن مباحث المحسنات المعنوية وعند معاينة المصادر البلاغية لمعرفة مصطلح (مراعاة النظير) نجد أنفسنا أمام كم هائل من المصطلحات الأخرى وهي ترادف المصطلح الأساسي ولكنه الأشهر إذ " يسمى هذا الوجه البديعي : التناسب والائتلاف ، والتوفيق ، والمؤاخاة . وهو في الاصطلاح : أن يجمع الناظم أو الناثر أمرا وما يناسبه مع إلغاء ذلك التضاد ولتخرج المطابقة وسواء كانت المناسبة لفظا لمعنى ، أو لفظا للفظ ، أو معنى لمعنى إذ القصد جمع شيء إلى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من احد الوجوه "[٢] " ويسمى هذا اللون من البديع : ائتلاف اللفظ مع اللفظ ، أو مراعاة النظير، أو التناسب ، أو التوفيق . وعرفوه : بأنه الذي يجمع في الكلام بين أمرين، أو أمور متناسبة، لا بالتضاد _ لتخرج المطابقة "[٣] ويسميه صاحب الطراز (الائتلاف) فيقول: " وهو افتعال من قولهم ألف الخرز بعضها إلى بعض إذا جمعها، وهو يأتي على أوجه أربعة ، الوجه الأول منها تأليف اللفظ مع المعنى، وهو أن تكون الألفاظ لائقة بالمعنى المقصود ومناسبة له ، فإذا كان المعنى فخما كان اللفظ الموضوع له جزلا ، وإذا كان المعنى رقيقا كان اللفظ رقيقا ، فيطابقه في كل أحواله، وهما إذا خرجا على هذا المخرج وتلاءما هذه الملائمة وقعا من البلاغة أحسن موقع، وتالفا على أحسن شكل وانتظاما في أوفق نظام ، وهذا باب عظيم في علم البديع ... الوجه الثاني ائتلاف اللفظ مع اللفظ وهو أن تريد معنى من المعاني تصح تأديته بألفاظ كثيرة ولكنك تختار واحدا منها لما يحصل فيه من مناسبة ما بعده وملائمته ... الوجه الثالث ائتلاف المعنى مع المعنى وهو أن يكون الكلام مشتملا على أمرين فيقرن بكل واحد منهما ما يلائمه من حيث كان لاقترانه به مزية غير خافية "[٤] أو " هي الجمع بين أمرين ، أو أمور متناسبة، لا على جهة التضاد ، وذلك إما بين اثنين ... ويلحق بمراعاة النظير، ما بني على المناسبة في " المعنى " بين طرفي الكلام يعني : أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى ... وما بني على المناسبة في " اللفظ " باعتبار معنى له غير المعنى المقصود في العبارة "[٥] وكذلك " عبارة عن الجمع بين المتشابهات"[٦] " هذا النوع اعني مراعاة النظير يسمى التناسب والائتلاف والتوفيق والمؤاخاة وهو في الاصطلاح أن يجمع الناظم أو الناثر أمرا وما يناسبه مع إلغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة وسواء كانت المناسبة لفظا لمعنى أو لفظا للفظ أو معنى لمعنى إذ القصد جمع شيء إلى ما يناسبه من نوع أو ما يلائمه من احد الوجوه " [٧] " أي : أن يأتي المتكلم بألفاظ متناسبة بينهما ائتلاف وقرب ، وعكس مراعاة النظير : التنافر " [٨] " وهو بهذا يختلف عن الطباق، إذ الطباق يقوم على أساس الجمع بين الأمور المتضادة ، أما مراعاة النظير فيقوم على أساس الجمع بين الأمور المتناسبة "[٩] وبعد هذا العرض لأهم تعريفات البلاغيين لمصطلح (مراعاة النظير) يتبين لنا بأنه يدل على أنه عبارة عن مناسبة وهذه المناسبة إما أن تكون لفظية أو معنوية .

المبحث الأول :بلاغة مراعاة النظير (التناسب المعنوي)

يتجسد هذا الشكل على مستوى الخطاب من خلال عملية معاينة الألفاظ لمعرفة مدى التناسب الحاصل بينها الذي يؤدي إلى مراعاة النظير وكذلك معرفة ما يترتب عليه من بلاغة وهذا النسق يقارب أسلوبيا النوع الاول الذي ذكره البلاغيون ما يسمى بـ (مناسبة اللفظ للمعنى) ومن النصوص النبوية الشريفة التي تطالعنا في هذا الشكل ما جاء في سياق بيان إن الله _ سبحانه وتعالى بوصفه الخالق قد خلق الإنسان بإشكال مختلفة باعتبار الطول والقصر وكذلك باعتبار اللون والجنس لحكمة أرادها – سبحانه وتعالى – ولكنه ومع اختلاف هذا الخلق لا يهمه شكل الإنسان الذي يمثل الجانب المرئي (البصري) وإنما المهم هو الجانب المعنوي الممثل بالقلب وهذا ما نجده في الحديث الذي يرويه أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ، ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم "[١٠]؛ إذ نجد التناسب بين (أجسامكم / صوركم / قلوبكم) وعند معاينة هذه الألفاظ معجميا نجدها متعلقة بخلق الإنسان عموما إلا إن هناك تدرجا مفهوميا في هذه الألفاظ ؛ فقد بدا الخطاب النبوي بلفظ (أجسامكم) ؛ فهو يشمل جسم الإنسان كليا بعد ذلك ناسبه بلفظ (صوركم) إذ نجد أن لهذه الأجسام على مستوى التكوين البنائي صورا تتعلق باللون والحسن وغيرها من مزايا الصور وبعد ذلك انتقل الخطاب النبوي إلى لفظ (قلوبكم) فالقلب عضو موجود في الإنسان وهو غير مرئي فبذلك تدرج الخطاب النبوي في المستوى المعجمي من الجسم بوصفه الكل الأكبر إلى القلب بوصفه الجزء الأصغر وكذلك تدرج من المرئي إلى غير المرئي معطوفا عليه لفظ (أعمالكم) ويتضح من خلال هذا التناسب أيضا أن اللفظين (أجسامكم / صوركم) يمثلان الجانب الحسي في حين نجد بان اللفظين (قلوبكم / أعمالكم) يمثلان الجانب المعنوي فهو لا يريد ذات القلب وإنما يريد ما وقر في القلب من حسن نية وإخلاص لله _ سبحانه وتعالى " فالله لا ينظر إلى العباد إلى أجسامهم هل هي كبيرة أو صغيرة ، أو صحيحة أو سقيمة، ولا ينظر إلى الصور؛ هل هي جميلة أو ذميمة، كل هذا ليس بشيء عند الله . . . القلوب هي التي عليها المدار "١١ أي: " لا يثيبكم عليها ولا يقربكم منه ذلك كما قال تعالى: {وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً} (سبأ: ٣٧) ومعنى (ينظر) هنا مجازاته وإثباته، وهذا بعينه يأتي في قوله تعالى: {ولا ينظر إليهم} (آل عمران: ٧٧) وإلا فنظره تعالى الذي هو رؤيته للموجودات وإطلاعه عليها لا يخص موجوداً دون موجود بل يعم جميع الأشياء، إذ لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

والحاصل أن الإثابة والتقريب ليسا باعتبار الأعمال الظاهرة وإنما هي باعتبار ما في القلب كما قال: (ولكن ينظر إلى قلوبكم) وفي الحديث الاعتناء بحال القلب وصفاته بتحقيق علومه وتصحيح مقاصده وعزومه، وتطهيره عن كل وصف مذموم وتحليته بكل نعت محمود، فإنه لما كان القلب محل نظر الربّ حق على العالم بقدر اطلاع الله تعالى على قلبه أن يفتش عن صفات قلبه وأحواله لإمكان أن يكون فيه وصف مذموم يمقته الله بسببه. وفيه أن الاعتناء بإصلاح القلب وبصفاته مقدم على عمل الجوارح، لأن عمل القلب هو المصحح للأعمال الشرعية، إذ لا يصح عمل شرعي إلا من مؤمن عالم بمن كلفه، مخلص له فيما يعمله، ثم لا يكمل إلا بمراقبته تعالى فيه المعبر عنها بالإحسان، وحيث كان عمل القلب مصمماً للعمل الظاهر وعمل القلب غيب عنا فلا يقطع لذي عمل صالح بالخير، فلعل الله تعالى يعلم من قلبه وصفاً مذموماً لا يصح معه ذلك العمل، ولا لذي معصية بالشرّ فلعله سبحانه يعلم من قلبه وصفاً محموداً يغفر له بسببه، والأعمال أمارات ظنية، لا أدلة قطعية، ويترتب على ذلك عدم الغلوّ في تعظيم من رأينا عليه أفعالاً صالحة، وعدم الاحتقار لمسلم رأينا عليه أفعالاً سيئة، بل تحتقر تلك الحالة السيئة، لا تلك الذات المسيئة، فتدبر هذا فإنه نظر دقيق .

ومن الأحاديث الأخرى الواردة في رياض الصالحين التي تشكل مراعاة للنظير والتي حض رسول الله فيه الأمة على التوبة مع كونه (صلى الله عليه وسلم) معصوما وهو خير الخلائق وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يستغفر ويتوب في اليوم سبعين مرة تعليما لامته ، وزيادة لدرجاته عند ربه ما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " والله إني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة " ١٢

نجد أن مراعاة النظير وقعت بين لفظي (استغفر / أتوب) فالطرف الأول لفظ (استغفر) وهو مأخوذ من الفعل الثلاثي (غفر) "الغَفُورُ الغَفّارُ جلّ ثناؤه وهما من أَبنية المبالغة ومعناهما الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم يقال اللهمَّ اغفر لنا مَغْفرة وغَفْراً وغُفْراناً وإنك أَنت الغَفُور الغَفّار يا أَهل المَغْفِرة وأَصل الغَفْرِ التغطية والستر غَفَرَ الله ذنوبه أَي سترها والغَفْر الغُفْرانُ ذنبه ولذنبه بمعنى فغَفَرَ له ذنبه مَغْفِرةً وغَفْراً وغُفْراناً "١٣إن لهذا الحديث معاني عديدة ، فهو امتثال لأمر الله ورسوله ؛ اذ كان (صلى الله عليه وسلم) يتوب الى الله في اليوم مائة مرة والتوبة لابد فيها من صدق للتائب بإقلاعه عن الذنب١٤ و "التَّوْبةُ الرُّجُوعُ من الذَّنْبِ وفي الحديث النَّدَمُ تَوْبةٌ والتَّوْبُ مثلُه وقال الأَخفش التَّوْبُ جمع تَوْبةٍ مثل عَزْمةٍ وعَزْمٍ وتابَ إِلى اللّهِ يَتُوبُ تَوْباً وتَوْبةً ومَتاباً أَنابَ ورَجَعَ عن المَعْصيةِ إِلى الطاعةِ ". نجد مراعاة النظير على مستوى البنية النصية كائنا في الدالين الفعلين (استغفر / أتوب) وعند الرجوع إلى معناهما نجد أن كل دال منهما له دلالته الخاصة به ؛ فالدال (استغفر) يعني الستر أي: ستر الذنب والدال (أتوب) يعني حالة الرجوع عن الذنب ، بناء على ذلك لدينا دلالتان الأولى الستر والثانية الرجوع والسؤال أين نجد مراعاة النظير اللفظية المعجمية هنا نقول : تكمن مراعاة النظير في حالة التدرج الحاصلة ما بين الستر والرجوع فالله _ سبحانه وتعالى _ يستر الذنب بداية بطلب من العبد (استغفر) ولكنه يطالب عبده بالرجوع عنه توبة (أتوب) من خلال تركه له ، فكان الذنب أصبح في حكم الغائب لستره وللرجوع عنه ، فالاستغفار والتوبة متلازمان مراعاة للنظير. و"الحلف لتأكيد الأمر وتقويته ليبادروا إلى الإتيان بذلك

(إني لأستغفر) أي: أطلب منه مغفرة تليق بمقامي المبرأ عن كل وصمة ذنب أو مخالفة ولو سهوا وقبل النبوة (وأتوب إليه) أي: أرجع إليه متنقلاً من شهود فرق إلى شهود جمع. ثم الجملة جواب القسم (في اليوم) وهو شرعاً: ما بين طلوع الفجر وغروب الشمس. في قوله : (أكثر من سبعين مرة) إنما لم يحده بعدد مخصوص، لما علمت أن موجب الاستغفار والتوبة اللائقين به لا ينحصر ولأنهما يتكرران بحسب الشهود والترقي. ثم في هذا تحريض للأمة على التوبة والاستغفار فإنه مع كونه معصوماً وكونه خير الخلائق يستغفر ويتوب لأكثر من سبعين مرة؛ واستغفاره ليس من الذنب بل من اعتقاده أن نفسه قاصرة في الـــعبودية عما يليق بحضرة ذي الجلال والإكرام .

ومن الأحاديث الواردة في باب تبرئة الذمم من المظالم التي أوقعها الإنسان على أخيه في الدنيا ما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : " من كانت عنده مظلمة لأخيه ، من عرضه أو من شيء ، فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ؛ إن كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته ، وان كان له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه "١٥ " إن هذا الحديث دعوة للإنسان المسلم بان يبرا ذمته من الظلم الذي ارتكبه في الدنيا ضد أخيه المسلم سواء أكان الظلم في عرض أو أي شيء آخر يجب أن يتحلله (فليتحلله منه اليوم) أي: في الدنيا (من قبل ألا يكون) (دينار ولا درهم) أي: يوم القيامة ؛ لذا فان هذا الحديث يدور في سياق يوم

القيامة ، فانه في الدنيا يمكن للإنسان أن يتحلل من المظالم التي عليه بأدائها إلى أهلها ، أو استحلالهم منها ، لكن في الآخرة ليس هناك شيء إلا الإعمال الصالحة فإذا جاء ذلك اليوم اقتص الله _ سبحانه وتعالى _ من الظالم للمظلوم من حسناته التي هي رأس ماله فان بقي منه شيء وإلا اخذ من سيئات المظلوم وحملت على الظالم فازداد بذلك سيئات إلى سيئاته والمظالم أما أن تكون بالنفس أو المال أو العرض[١٦] ونجد عند معاينة الخطاب النبوي الشريف مراعاة النظير في قوله : (دينار ، درهم) إذ نجد مراعاة النظير في هاتين العملتين النقديتين وهما (الدينار والدرهم) فكلاهما عملة نقدية وكان يستطيع الرسول الكريم أن يكتفي بعملة واحدة وهي (الدينار) لكنه (عليه الصلاة والسلام) جاء بعملتين _ عملة ذات قيمة عالية وهي (الدينار) وعملة ذات قيمة قليلة وهي (الدرهم) وذلك لبيان أن الشيء مهما صغر أو كبر فهو دين في رقبة الإنسان لابد منه وفائه قبل مماته ومن بلاغة خطاب مراعاة النظير هنا من خلال ذكر المال المتمثل بـ (الدينار والدرهم) إن جل القضايا الخلافية في الدنيا تحل بالمال وذلك لحب الإنسان له بدلالة قوله تعالى : {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً } الفجر : ٢٠ ، وهو يكنى به عن الدنيا؛ فالدنيا مال ومتاع إلا أن هذا المال سيتوقف عمله ويبطل مفعوله في الآخرة إذ لا يجد الإنسان سوى الحساب المتمثل بالحسنات والسيئات فهو مال الإنسان الحقيقي الباقي فلا يستطيع الإنسان وفاء المظالم التي قام بها بالمال .

المبحث الثاني : بلاغة مراعاة النظير (التناسب اللفظي)

يمكننا رصد هذا النسق من مراعاة النظير في الخطاب النبوي الشريف من خلال البحث في الألفاظ لا باعتبار معناها أولا وإنما باعتبار شكلها من تكرار لحروف معينة في الكلمة أو الكلمات الواردة في الخطاب أو تناسب وانسجام بين الكلمات ومن أهم الأساليب التي تحقق هذا التناسب والانسجام

_ أسلوب الجناس وكذلك أسلوب التكرار والفاصلة وهي تنتمي إلى المحسنات اللفظية ضمن مباحث علم البديع إلا إنها تحقق مراعاة النظير أيضا على المستوى البنائي للخطاب .

ومن الأحاديث الواردة في كتاب رياض الصالحين والتي تتضمن مراعاة النظير اللفظية (الصوتية) ما جاء

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[١٧].

نجد الانسجام بمراعاة النظير ما بين لفظي (نصب / وصب) وعند الرجوع إلى دلالة لفظ نصب) نجده يعني التعب اما بالنسبة للفظ (وصب) فهو يعني الوجع الدائم فالنصب عام أي التعب والوصب خاص فجاء الخطاب بالعام بعدها جاء بالخاص انه

وجع دائم، خاص بعد عام، لما في الوجع كذلك من الشدة المؤدية إلى التضجر والسخر بالقضاء المحبط للثواب أو الإسلام والعياذ بالله ، أو تأكيد بعطف مترادفات أو قريبة من الترادف اهتماماً بهذا المقام الخطير، ليكون العلم بعظم الثواب مانعاً من الوقوع في ورطة خطر الضجر (ولا همّ ولا حزن) فرق بينهما بأن الأول للمستقبل والثاني للماضي قال وكيع: لم يسمع في الهمّ أنه كفارة إلا في هذا الحديث (ولا أذى) هو كل ما لا يلائم النفس فهو أعمّ الكل (ولا غمّ) هو أبلغ من الحزن لأنه حزن يشتد بمن قام به حتى يصير بحيث يغمى عليه (حتى) ابتدائية أو عاطفة أو بمعنى إلى الغائية بيان وتقريب لأدنى مراتب الأذى (الشوكة) بالرفع أو الجر (يشاكها) خبر أو حال، والضمير البارز هو المفعول

الثاني على تقدير الجار، والنصب كذلك سماعي وهذا منه، أو على تضمين فعل متعد لاثنين: أي يذاقها، والأول مضمر نائب الفاعل يعود على المسلم من أشكته أدخلت في جسده شوكة (إلا كفر) استثناء من أعم الأحوال المقدرة: أي ما حصل لإنسان في حال المصيبة حال من الأحوال إلا الحالة التي يكفر الله (بها) أي: بسببها (من خطاياه) ابتدائية أو تبعيضية. قيل: وهو أولى لأن بعض الذنوب لا تكفر بذلك كحق الآدمي والكبائر (متفق عليه) وأخرجه الترمذي. وفيه أن الأمراض وغيرها من المؤذيات التي تصيب المؤمن مطهرة له من الذنوب، وأنه ينبغي للإنسان ألا يجمع على نفسه بين ضررين عظيمين: الأذى الحاصل وتفويت ثوابه، وقد ورد مرفوعاً «المصاب من حرم الثواب» (والوصب: المرض) أي: الدائم كما تقدم أو الشديد الكثير الأوجاع٨[1]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا "١٩ .

يتجسد أسلوب مراعاة النظير على المستوى البناء الصوتي بين الألفاظ (منفقا / ممسكا ، خلفا / تلفا) ، وبالرجوع إلى دلالات الخطاب النبوي الشريف في هذا الحديث نجدها محددة في فئتين هما (فئة المنفق) و (فئة الممسك) وكذلك فان قضية الإنفاق تتنوع " فمن الناس من ينفق في شهواته المحرمة ، وفي لذائذه التي لا تزيده من الله إلا بعدا فهذا يكون ماله وبالا عليه ... ومن الناس من ينفقه ابتغاء وجه الله فيما يقرب إلى الله ... فهذا ماله خيرية . ومن الناس من يبذل ماله في غير فائدة، ليس في شيء محرم ولا في شيء مشروع ، فهذا ماله ضائع عليه ... وينبغي للإنسان إذا بذل ماله فيما يرضي الله فاز بوعد الله ... أي يعطيكم خلفا عنه " أما بالنسبة للممسك " المراد بذلك من يمسك عما اوجب الله عليه من بذل المال فيه، وليس كل ممسك يدعى عليه ، بل الذي يمسك ماله عن إنفاقه فيما اوجب الله ، فهو الذي تدعو عليه الملائكة بان الله يتلفه ويتلف ماله . والتلف نوعان : تلف حسي، وتلف معنوي .

١. التلف الحسي: أن يتلف المال نفسه ، بان يأتيه آفة تحرقه أو يسرق أو ما أشبه ذلك .
٢. والتلف المعنوي: أن تنزع بركته، بحيث لا يستفيد الإنسان منه في حياته "وقد بدا بذكر لفظ الزمان (يوم) مقرونا بالفعل المضارع (يصبح) وهو شرعا من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وقوله:(يصبح العباد فيه) وصف توضيحي وقد عبر بالعطية مشاكله لما قبلها وإلا فهي لا تكون في التلف (ممسكاً تلفاً) يحتمل تلف ذلك المال بعينه أو تلف نفس صاحب المال، والمراد به فوات أعمال البر بالتشاغل بغيرها٢٠.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ أحب أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»٢١ .

نجد في هذا الحديث معالجة لمرض مزمن في المجتمع وهو قطع صلة الرحم فالرسول الكريم يحث على الصلة ويبين ذلك من خلال اسلوب مراعاة النظير او التناسب اللفظي بين الجمل (يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ/ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ / فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) اذ نجد التناسب بين الفعلين (يُبْسَطَ / يُنْسَأَ) وهما من الجناس غير التام فهناك اختلاف في الحرف الاخير بين اللفظين (الطاء والهمزة) وكذلك نجد التناسب بين فواصل الجمل ؛ فكل جملة انتهت بحرف (الهاء) ونجد هناك تكرارا لحرف (الراء) وكل ذلك له تاثير بالغ الاهمية في ايصال المعاني ونلحظ بان هناك تناسبا بين المعاني ايضا فبسط الرزق في قوله : (يبسط) وبسطه توسيعه وكثرته، وقيل بالبركة فيه أي وهو ما به النفع ، يتناسب مع قوله : (ينسا) (وينسأ) بهمزة آخره أي يؤخر (له في أثره): أي أجله وكلا المعنيين متناسبين باعتبار تحصيل النفع بهما،

وسمي الأجل أثراً لأنه يتبع العمر وأصله من أثر مشيه في الأرض فإن من مات لا يبقى له حركة فلا يبقى لقدمه في الأرض أثر (فليصل رحمه) والجمع بينهما إما بحمل الزيادة على أنها كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى طاعة الله وعمارة وقته بما ينفعه، ويقربه من مولاه تعالى ويقوّيه ما جاء من: أنه تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطى ليلة القدر. وحاصله أن صلة الرحم سبب للتوفيق لمرضاة المولى وحفظ الأوقات عن الضياع في غير رضا فيبقى بعده الذكر الجميل، فكأنه لم يمت، أو يحمل الزيادة في الحديث على حقيقتها، وذلك بالنسبة للأجل المعلق المكتوب في اللوح المدفوع للملك، مثلاً كتب فيه: إن أطاع فلان فعمره كذا وإلا فعمره كذا، والله – سبحانه وتعالى – عالم بالواقع منهما والأجل المحتوم في الآية على ما في علم الله سبحانه الذي لا تغير فيه٢٢.

ويجوز أن يكون المعنى: أن الله يبقي أثر واصل الرحم في الدنيا طويلاً فلا يضمحلّ سريعاً كما يضمحل أثر قاطع الرحم (ومعنى ينسأ له في أثره: أي يؤخر له في أجله وعمره) فقوله: يؤخر تفسير لقوله ينسأ، وقوله في أجله وعمره وتفسير لقوله أثره كما علم مما تقدم، وهل التأخير فيهما على حقيقته أو مجاز مراد منه لازمه من الإمداد ودوام الثناء بعده؟ كل محتمل والعبارة في الأول أظهر.)٢٣

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، بِحَدِيثٍ يَرْفَعُهُ، قَالَ: «النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا، وَالْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» ٢٤ .

(الناس) أي باعتبار الأفراد (معادن) أي أصولاً للخير والشر بحسب ما جعلهم الله مستعدين له. والمعادن جمع معدن بكسر الدال لأنه موضع العدل: أي الإقامة اللازمة وسمي المعدن بذلك لأن الناس يقيمون فيه شتاء وصيفاً قاله الجوهري (كمعادن الذهب والفضة) وجه الشبه. اشتمال المعدن على الجواهر المختلفة نفاسة وخسة وكل معدن يخرج منه ما في أصله، وكذا كل إنسان يظهر منه ما في أصله من خسة أو شرف (خيارهم في الجاهلية) أي أشرافهم فيها وهي ما قبل الإسلام سموا به لكثرة جهالاتهم (خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)٢٥

ومعناه صار الفقه سجيتهم: أي فقد وصل بما حازه في شرف الإسلام والفقه فيه إلى ما كان عنده من الشرف والكرم والسماحة ونحوها في الجاهلية، (والأرواح جنود مجندة) معطوف على جملة «الناس معادن» : أي جموع مجتمعة وأنواع مختلفة (ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) يحتمل أن يكون إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشرّ، فالخير يحن إلى شكله والشرير إلى نظيره، فتعارف الأرواح بحسب الباع التي جبلت عليها من خير أو شر، فإذا اتفقت تعارفت وإن اختلفت تناكرت. ويحتمل أن يراد الإخبار عن بدء الخلق في حال الغيب على ما جاء «إن الأرواح خلقت قبل الأجسام فكانت تلتقي وتلتئم، فلما حلت بالأجسام تعارفت بالأمر الأول، فصار تعارفها وتناكرها على ما سبق من العهد المتقدم، فتميل الأخيار إلى الأخيار والأشرار إلى الأشرار فينبغي أن يبحث عن المقتضي لذلك ليسعى في إزالته فيتخلص من الوصف المذموم وكذا عكسه. المراد بالتعارف والتناكر التقارب في الصفات والتفاوت فيها، لأن الشخص إذا خالفتك صفاته أنكرته، والمجهول ينكر لعدم العرفان، فهذا من مجاز التشبيه، شبه المنكر بالمجهول والملائم بالمعلوم أي علموا وبضمها، وتقدم في باب الأمر بالمحافظة على السنة أن الضم هو المشهور، ومعناه صار الفقه سجيتهم: أي فقد وصل بما حازه في شرف الإسلام والفقه فيه إلى ما كان عنده من الشرف والكرم والسماحة ونحوها في الجاهلية، معطوف على جملة «الناس معادن» : أي جموع مجتمعة وأنواع مختلفة (ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) قوله الأرواح الخ يحتمل أن يكون إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشرّ، فالخير يحن إلى شكله والشرير إلى نظيره، فتعارف

الأرواح بحسب الباع التي جبلت عليها من خير أو شر، فإذا اتفقت تعارفت وإن اختلفت تناكرت. قلت: وحكاه المصنف في شرح مسلم عنه وعن غيره، ويحتمل أن يراد الإخبار عن بدء الخلق في حال الغيب على ما جاء «إن الأرواح خلقت قبل الأجسام فكانت تلتقي وتلتئم، فلما حلت بالأجسام تعارفت بالأمر الأول، فصار تعارفها وتناكرها على ما سبق من العهد المتقدم، فتميل الأخيار إلى الأخيار والأشرار إلى الأشرار» قال ابن الجوزي: يستفاد من الحديث أن الإنسان إذا وجد من نفسه نفرة عن ذي فضل وصلاح،

فينبغي أن يبحث عن المقتضي لذلك ليسعى في إزالته فيتخلص من الوصف المذموم وكذا عكسه. المراد بالتعارف والتناكر التقارب في الصفات والتفاوت فيها، لأن الشخص إذا خالفتك صفاته أنكرته، والمجهول ينكر لعدم العرفان، فهذا من مجاز التشبيه، شبه المنكر بالمجهول والملائم بالمعلوم.٢٦

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلاَ تُنَفِّرُوا»٢٧ .

اليسر ضد العسر، وذكر في الثانية تأكيداً وإطناباً وإلا فالأمر بالشيء النهي عن ضده أو لأنه لو اقتصر على الأمر بالتيسير لصدق على من أتى به مرة، وبالعسر بعض أوقاته، فلما قال ولا تعسروا انتفى العسر سائر الأوقات (وبشروا) من البشارة الإخبار بالخير ضد النذارة (ولا تنفروا) قابل به البشارة مع أن ضدها النذارة لأن القصد من النذارة التنفير عن المنذر عنه فصرح بالمقصود منها٢٨

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يعود بعض اهله يمسح بيده اليمنى ويقول : «أَذْهِبِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا»٢٩ .

إن هذا الحديث أتى في سياق بيان أهمية عيادة المريض لما في ذلك من اجر عظيم وكذلك بيان لأهمية الدعاء للمريض عند زيارته فرسولنا يعلمنا درسا إيمانيا من خلال حديثه وكان (صلى الله عليه وسلم) (يمسح) أي ذلك المعاذ (بيده اليمنى) وبركتها عليه فيستحب فعل ذلك لمن يتبرك به (ويقول: اللهم ربّ الناس) (أذهب) (الباس) أي الشدة في الحرب والعذاب (اشف) (أنت الشافي لاشفاء) (إلا شفاؤك) (لا يغادر) أي لا يترك (سقماً) أي مرضاً، وفائدة التقييد به أنه قد يحصل الشفاء من ذلك المرض فيخلفه مرض آخر متولد منه مثلاً فكأنه يدعو بالشفاء المطلق لا بمطلق الشفاء٣٠، ونجد مراعاة النظير واقعة بين ألفاظ الحديث (الباس / الناس) وورود حرف الباء بين لفظي (اذهب / رب) وألفاظ الشفاء (اشف / الشافي / شفاء) ففي هذه الألفاظ إيقاع صوتي مميز تتساوق حروفها الواحدة تلو الأخرى لتحدث دلالات مؤثرة في مقام الدعاء والاسلوب الذي اطر هذا التناسب هو أسلوب الجناس غير التام والجناس الاشتقاقي .

الهوامش

١. ينظر: لسان العرب ، ابن منظور: ٢١٥/٥ . مادة (نظر)
٢. علم البديع – رؤية جديدة، د. احمد فشل :١٧٧.
٣. البديع في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين:٣٥.
٤. الطراز المتضمن لإسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، العلوي: ٨٠/٣ – ٨٢.
٥. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، احمد الهاشمي:٣٦٨ – ٣٦٩.
٦. مفتاح العلوم، السكاكي:٤٢٤.
٧. خزانة الأدب وغاية الإرب، ابن حجة الحموي:٢٩٣/١.
٨. البلاغة العربية – مقدمات وتطبيقات، د. بن عيسى باطاهر:٣٩٦.
٩. من بلاغة النظم العربي – دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم،د. بسيوني عبد الفتاح فيود: ٣٣٨.
١٠. رياض الصالحين، النووي:٢٢.
١١. ينظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ، د. مصطفى سعيد الخن وآخرون:٣١/١.
١٢. رياض الصالحين: ٢٣– ٢٤.
١٣. لسان العرب: ٢٥/٥. مادة (غفر)
١٤. ينظر: شرح رياض الصالحين ، محمد بن صالح العثيمين: ٩٨/١.
١٥. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، محمد علي بن محمد بن علان: ٥٢٨/٢.
١٦. ينظر: شرح رياض الصالحين: ٥٠٩/٢.
١٧. رياض الصالحين:٣٩.
١٨. دليل الفالحين: ١٧٨/١.
١٩. رياض الصالحين: ١٢٩.
٢٠. دليل الفالحين:١٢١/٣.
٢١. رياض الصالحين: ١٣٦.
٢٢. دليل الفالحين: ١٥٤/٣.
٢٣. المصدر نفسه: ١٥٥/٣.
٢٤. رياض الصالحين:١٥٢.
٢٥. دليل الفالحين: ٢٣٣/٣.
٢٦. دليل الفالحين:٢٣٤/٣.
٢٧. رياض الصالين:٢٣٤.
٢٨. دليل الفالحين:٩٢/٥.
٢٩. رياض الصالحين:٣٠١.
٣٠. دليل الفالحين:٣٧٧/٦.

قائمة المصادر والمراجع

١. البديع في ضوء أساليب القرآن ، د . عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ،القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩ م .

٢. البلاغة العربية _ مقدمات وتطبيقات ، د . بن عيسى باطاهر ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨ م .
٣. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، احمد الهاشمي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت _ لبنان .
٤. خزانة الأدب وغاية الإرب ، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الازراري ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧ م .
٥. رياض الصالحين ، أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (٦ ٣١ – ٦٧٦ هـ) ، حققه وخرج أحاديثه : عبد العزيز رباح واحمد يوسف الدقاق ، راجعه : الشيخ شعيب الارنؤوط ، دار الفيحاء – دمشق ، الطبعة الثالثة عشر ، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م .
٦. شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، محمد بن صالح العثيمين ، دار القدس ودار سما ببنها ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣ م .
٧. الطراز لإسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة بن علي ابن إبراهيم العلوي اليمني ، تحقيق : د . عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، صيدا _ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ _ ٢٠٠٢ م .
٨. علم البديع _ رؤية جديدة ، احمد احمد فشل ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٦ م .
٩. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر _ بيروت _ لبنان ، الطبعة الأولى .
١٠. مفتاح العلوم ، أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) ، ضبطه وشرحه : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط ١ ، ١٤٣٠هـ _ ١٩٨٣ م .
١١. من بلاغة النظم العربي _ دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم ، د . بسيوني عبد الفتاح فيود مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ _ ٢٠١٠ م .
١٢. نزهة المتقين شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، د.مصطفى سعيد الخن وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، الطبعة العاشرة ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م .

abstract

This research aims to build thought rhetorical New mixes a procedure rhetorical old and between data Lesson rhetorical modern goal of the lesson stylistic; came the research plan based on the introduction and pave the two sections to ensure the boot (the definition of taking into account the peer language and problematic concept termed) The first section (eloquence into account peer (proportionality moral)), but for the Study of the second was Anonah (b eloquence into account peer (proportionality verbal)) then came in a conclusion which are the most important results and a list of sources and references Finally, we ask Allah to accept our work and to make it purely for His holy he is the Lord and the patron .